

نحن اليوم في حالة لا نخفي على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وإنما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا إذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجبا كثيفة فأعرضنا عنه وعن العلوم التي تحفظ بها

بيضتنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندرسة ليس لها سوق نافذة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند ما ظهر الاسلام وفقدت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من حياتنا هم خيرة علمائنا !

## الانقلاب العثماني \*

### ﴿ تركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تفسير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى المصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة ، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير ، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح ، بخلاف الانقلاب فانه مها آلم الأمة ورضضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم ، ويصعد بها درجة في سلم

(\* رسالة حفيلة جليلة ألها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقرظ لها نشرها في المنار لانها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب

النجاح ، وأكبر كتاب العربية لا يفرقون بين الكلمتين ، ويطلقون اسم الثورة على الانقلاب ، فيقولون الثورة الفرنسية مثلا ، بدل الانقلاب الفرنسي ، ولم يلتفتوا الى ما زوي عن لويس السادس عشر ملك فرنسا لما أخبر بهدم قلعة الباستيل ( la Bastille ) واطلاق المسجونين فيها فقال: إذا هذه ثورة ( Révolte ) فأجابه المخبر: عفوا يامولاي بل هذا انقلاب ( Révolution )

فمراد ملك فرنسا ان فعل الثأرين غير مشروع ، ولا حق لخروجهم عن الطاعة ، وجواب المخبر ينافيه ، وبين ان الانقلاب غير الثورة والعصيان ، فنحن اليوم أحوج الى تعيين معاني الكلمات والى سكب قوالب الالفاظ دلي قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلابا في اللغة والأدب ، فضلا عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار ، الا ترى الجرائد العثمانية دلي اختلاف لغاتها من تركية وعربية ورومية وأرمنية ويهودية ( أسبانية وعبرانية ) وبلغارية وفرنساوية والجرائد الالبانية والكردية على وشك الظهور — كيف بدلت لهجاتها بعد حدوث الانقلاب ، وهجرت تلك الالفاظ الفخمة والتعصبات السقيمة ، التي نغفل المعاني بستار المهابة حتى نستبهم على القارئ ، وتفيد فكركه بسلاسل التذليل والاستبعاد

#### الاستبداد يولد الانقلاب

الذي يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار لفضب والحيوانية ، لامن قواعد الدين الاسلامي كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوربيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية أي انها جامعة بين الديانة والسياسة ، واحكام المستبد أو المستبدين في الغالب جائزة عن الحق ، بمحفة بمن تحت يدهم من الخلق ، لملهم اياهم على ما ليس في طوقهم من اغراض المستبد او المستبدين وشهواتهم ، ولذا ورد في الخط الشريف السلطاني الذي منح به القانون الاساسي « ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة ، وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم

الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتاً منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء ، وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية ... الخ »

### الاستبداد والاسلام

فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد عن ا كاسرة الفرس وقيصرة الرومان ، عن غاردة بابل وفراعنة مصر ، عن جنكيز خان وتيمور لنگ ، والاسلام اول شريعة اعترضت على الاستبداد وقاومته أشد المقاومة ، وساوت بين أفراد الأمة ، وحافظت عن الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعاهدين فضلاً عن افراد الأمة - على أموالهم ودمائهم واعراضهم ، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ، ووضعت حق الحاكمية في الأمة ، ولم تكف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل فرد من افرادها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الأمة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم والا اولي الأمر منهم . ورد في الدرر وهو من أهم الكتب الشرعية « ان الظليفة يقتص منه ويؤخذ بالمال لانهما من حقوق العبد ، ويستوفيه ولي الحق أما يتمكنه أو بالاستعانة بمنعة المسلمين ، ولذا حكمت القضاة على اكثر من واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمائه ، وانزاتهم عن المنصة ، واقعدتهم مع الخصم في مجلس الحكم

### الاستبداد آسيوي لا إسلامي

كان السلال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى أثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني أمية ، ثم تغلب الاستبداد الآسيوي على احكام الدين الاسلامي ، واقلبت الخلافة الى سلطنة واصبح خليفة الاسلام (مقدسا وغير مسؤول) كلوك الافرنج ليومنا هذا ، لا يقتص منهم ولا يؤخذون بالاموال ولا تستطيع المحاكم إحضارهم ولا إصدار الحكم عليهم ، ويرثون ملك كما يرث أحدنا مال أبيه . فاستبدوا بالامر استبداد لويس الرابع عشر الذي كان يقول « الدولة هي انا » و « أموال الرعية انما هي ملك للملكا فاذا

أخذ شيئاً منها فقد أخذ حقه !!» واستباحوا التصرف في نفوس الرعية وأموالهم وأعراضهم وفي خزائن الدولة وبيت المال وأوقاف المساجد والمؤسسات الخيرية: وصار الوزراء والمصاحبون يقولون «خسرو بكنند شيرينست» أي ما أعجب كسرى فهو حسن ، فالحسن هو ما استحسنته السلطان والتقيح ما استقبحة السلطان ، ولا دخل في ذلك للعقل والذوق ، ولا للحكمة والشرع ، لأنهم أولوا الشرع على حسب غاياتهم وأغراضهم

فإذا تصفحت تواريخ الأمم الإسلامية في الشرق والغرب تراها مؤسسة على هذا الاستبداد الآسيوي ، وعلى جانب من الاستبداد الأفريقي ، وليس فيها شيء من الحرية الإسلامية ولا المشورة المأمورة بها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما قال الله نبيه : (١٥٣:٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمتم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ) وقوله تعالى (٤٢:٢٦) وأمرهم شورى بينهم) وحديث «أتم أعلم بأمر دنياكم» وأمثاله كثيرة كحديث حلف الفضول المشهورة في التواريخ: وذلك أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف الفضول الذي عقدته قديماً قبائل العرب واشتهر باسم رؤسائهم الفضيل والمفضل ، فاجتمعت وجوه قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه ، فتحالفوا وتعاهدوا أن لا يجردوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وكان ذلك قبل الإسلام ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لقد شهدت مع عمومي حلفاني دار عبد الله بن جدعان ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» فأى شيء أشبه بهذا الاجتماع والتعاقد من البرلمان والمبعوثان ؟ لابل من جمعية الأتحاد والترقي ؟ ولقد احسن جدا العلامة المقرئ في جوابه المذكور في فتح الطيب حيث قال :

« سألتني بعض الفقهاء عن السبب في سوء بخت المسلمين في ملوكهم ، إذ لم يبل أمرهم من يسلك بهم الجادة ، ويحملهم على الواضحة ، بل من يفتري في مصلحة دنياه ، غافلاً عن عاقبة أخراه ، فلا يرقب في موطن الأمانة ، ولا يراعي عهداً ولا حرمة : » فأجبت: بأن ذلك لأن الملك ليس في شريقتنا ، وذلك إنه كان فيمن قبنا شرعاً

قال الله تعالى ممتا علي بني اسرائيل (وجعلكم ملوكا) ولم يكن ذلك في هذه الامة ، بل جعل لهم خلافة ، قال الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ) الآية وقال تعالى ( وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ) وقال سليمان ( رب اغفر لي وهب لي ملكا ) فجعلهم الله تعالى ملوكا ولم يجعل في شرعنا الا الخلفاء . فكان أبو بكر خليفة رسول الله ( ص ) وان لم يستخلفه نصا لكن فهم الناس ذلك فيها ، وأجمعوا على تسميته بذلك ، ثم استخلف أبو بكر عمر فخرج بها عن سبيل الملك الذي يرثه الولد عن الوالد الى سبيل الخلافة الذي هو النظر والاختيار ، ونص في عهده على ذلك ، ثم اتفق أهل الشورى على عثمان . فخرج عمر لها عن بنيه الى الشورى دليل على انها ليست ملكا ، ثم عين علي بعد ذلك اذ لم يبق مثله ، فبايعه من آخر الحق على الهوى ، واصطفى الآخرة على الدنيا ، ثم الحسن كذلك ، ثم كان معاوية أول من حول الخلافة ملكا ، والخشونة لنا ، ثم ان ربك من بعدها لظهور رحيم ، فجعلها ميراثا ، فلما خرج بها عن وضعها لم يستقم ملك فيها . ألا ترى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان خليفة لا ملكا ، لان سليمان رحمه الله رغب عن بني أبيه ايثارا لحق المسلمين ، ولثلا يتقلدها حيا وميتا ، وكان يعلم اجتماع الناس عليه ، فلم يسلك طريق الاستقامة بالناس قط الا خليفة ، وأما الملوك فعلى ما ذكرت الا من قل ، وغالب أفعاله غير مرضية ، اه فيظهر لنا من هذا الكلام الفرق بين الخلافة والملك ، والسبب الذي جعل

ملوك الافرنج مقدسين وغير مساوين

#### منبع الاستبداد قصر الملك والخلافة

ومنبع استبداد الدول الاسلامية في قديم الزمان وحديثه هو قصر الخلافة ، ودار الملك والامارة ، حيث تكثر دسائس المقرين ويشترحهم على الجاه وطهمهم في جمع الاموال وادخارها وفي انقاذ الكلمة ، ولذا ابتعد عنهم أهل التقوى والورع في جميع البلدان والازمان . فالتقرب منهم لا يكاد يتم له الامر الا ويظهر له رقباء يشون به ، وينصبون له اشراك المكيدة ، ويتهمون به بانواع التهم ، وينسبون اليه كل خلل في الدولة ، حتي يبعده عن مركز الدولة ، وربما تسبوا في مصادره وقتله مع

أولاده وعياله كما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد. فتاريخ الدول والامارات الاسلامية كلها وقائع برمكية . وقد ينصر الوزير على الخليفة او الامير ويحجر عليه ويصير هو المستبد بالامر ، ونتيجة التضييق واحدة وهي الاستبداد ، وتغلب القوة على الحق . والامة في جميع هذه الاحوال شاخصة بيصرها لا تظلم على خفايا السياسة وتدير الملك ، ولا على دسائس المقرين وحيلهم لإخفائهم جميع ذلك عنها ، واستبدادهم بالامر عليها . ولقد أجاد لسان الدين بن الخطيب وزير بني الأحرر في الرسالة التي خاطب بها الوزير ابن مرزوق ووصف بها أحوال خدمة الدولة ومصايرهم ، وعبر فيها عن ذوق ووجدان وهي أبلغ ما حرر في هذا الصدد ، وقد ذكرها المقرئ في الجزء الثالث من نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب . فالمصلحون لم يتخلصوا من هذه الفوائل ولا وجدوا وقتا لإصلاح داخل الممالك وتحكيم سياستها الخارجية ، ولذا انصرفت همهم لجمع الاموال وادخارها ، واغتنام فرصة التقرب ونيل التوجه واكتساب السعادة ، لان الواحد منهم لا يدري الى متى يدوم له التوجه والاقبال ، فيسارع الى الاستفادة من الحال التي اسعدها الحظ بنيلها

#### قصر السلطنة العثمانية وتربية ولي العهد والكامريلا

كان قصر السلطنة في الممالك العثمانية مرتبا على الاصول والتقاليد الموروثة عن المغول ، حيث كانت الدولة عبارة عن خيمة كبيرة حكومتها بابها العالي . وأول وظيفة على هذه الحكومة ازالة الخان المعظم على الرحب والسعة ، واسكان من معه من الحریم والاسرة والاقارب والحاشية ، واستكمال أسباب راحتهم وسعادتهم ، واستحضار النفقات اللازمة لهم ولرؤساء ( العرضي ) . فالعمود الأوسط القائمة عليه هذه الخيمة هو « الصدر الاعظم » القائم مقام الخان المعظم أي السلطان والحامل لخطمه الذاتي والوكيل المطلق عنه في جميع مسائل الدولة الداخلية والخارجية ، وبجانبه « قاضي عسكر » لفصل الدعاوي وتقسيم موارد الجند والمحافظة على حقوق السلطنة ، وشيخ الاسلام انما هو « قاضي عسكر » وظيفته أحدث عهدا . فقضاء العسكر قديم في الدولة ومتقدم فيها على قضاء المدن مما يدل على حياتها العسكرية المتقلبة ، ثم « الدقردار » الذي يقيد الاموال ويحجر الحساب ، وهو اليوم ناظر

المالية ، ثم « النيشانجي » الذي يكتب الإيرادات والقرمانات وغيرها ، فهؤلاء  
أعمدة ثانوية حوالي العمود الاعظم الذي في وسط الخيمة ، واما جبال الخيمة  
فهي الاغوات ،

ويقسم الاغوات بحسب خدمتهم في الداخل أو في الخارج إلى قسمين :  
فالقسم الاول هم خدمة الداخل المسمى « اندرون » من عماليك البيضان وطواشية  
السودان المحافظين على الحرم ، وكبيرهم آغة دار السعادة ويسمى أيضا آغة البنات  
« قينزل آغاسي » ، ثم آغة البستانين « بستانجي باشي » المكلفين بزراعة البساتين  
والجنان وآغة الرسل الموصلين للاخبار وآغة المحافظين على الاثواب والالبسة  
« اثوابجي باشي » و « القهوه جي باشي » و « الأبريقدار » و « السجاده جي  
باشي » . . . الخ والقسم الثاني هم خدمة الخارج واغوات ( العرضي ) مثل آغة  
الانكشارية « يكيچري آغاسي » وآغة الصباهية « سباهي » وآغة الطوبجية وهو  
« الطوبجي باشي » . . . الخ فهؤلاء الاغوات من خدمة الداخل وخدمة الخارج  
كلهم في درجة واحدة بمثابة جبال الخيمة ، ولا فرق بينهم في التشریفات الرسمية  
والمعاشات والتعيينات ، ولا في الاعتبار والمكانة عند الدولة ، فالجاهل والعالم ،  
والعبد المملوك والحر ، ووضع النسب وشريفه ، ومجهول الاصل ومعروفه ، والابر  
الخصي وكامل الاعضاء — كلهم متساوون لا تميز بين « القهوه جي باشي » الذي  
لا يحتاج صناعته الا لمعرفة طبخ القهوة وتقديمها ، وبين « الطوبجي باشي » المتوقفة  
صناعته على معرفة الفنون العسكرية والمعارف الكثيرة ، وهذا الذي جعل الشاعر  
المفلق الامير شكيب على ان يقول أياته المشهورة ومنها :

وألفت فيها أمة عربية يرى الترك منهم أمة الزنج اكرا

واندا امتزجت الحياة البيتية بالحياة الدولية ، والمسائل النسائية بالمسائل السياسية ،  
واشغال السراي السلطانية بأشغال الباب العالي ، وبين السراي والباب العالي  
وسط يقال انه الماين لانه بين « الأندرون » أي الداخل وبين « البيرون » أي  
الخارج . ويشتمل الماين على الكتاب والقرناء والمصاحبين وهم « الماينجية »  
ويعدون كلهم من أهل السراي وخدمتها

فامتلات السراي السلطانية بالأسرى من السراي الجركسيات والماليك والطواشية ، مع أن الشرع الاسلامي لا يبيح هذه المادة المستكرهه ، قال شارح الدر : « وفي قطع الذكر من الاصل عمدا قصاص » ويندر فيهم وفي جميع خدمة الداخل من يتعلم القراءة فضلا عن الكتابة ، لان فضيلة الواحد منهم ان يكون على الفطرة الاصلية فارغاً من العلوم والمعارف ، لتلا يسول له الشيطان أمراً أو دسيسة سياسية توجب انقلاب الملك ، ولذا اختاروا الخدمة من قرى الاناضول البعيدة ومن ذوي السذاجة والفرارة ، فاذا ولد لاحد السلاطين العظام مولود تربى في حجر والدته الجركسية على دلال السراي والاغوات إلى تمام السنة الثانية عشرة من عمره ثم تبدل تلك السراي بالحظايا فيتخذ منهم حرماً ينزوي بهن في أحد القصور ، وتبقى الاغوات والماليك على ما كانت عليه أيام صباه ، وربما جاؤه بحفاظ يحفظه القرآن ، ومعلم يعلمه مبادئ العلوم ، ولكن أكبر معلم للانسان هو البيئة التي يكون فيها ، وكيف يتعلم المرء بدون ان يخرج من بيته ويحتك بالعلماء ورجال الدولة ، فيبقى ولي العهد على هذه الحال ينتظر دوره في الملك ، وهو محبوس في قصره ، وعليه العيون والجواسيس لا يمكنون أحداً من الدنوايه ولا المرور بجانب قصره ، فضلاً عن محادثته في المسائل العلمية والسياسية .

ومتى جاء دوره وجلس على سرير الملك سعى طواشية السودان وماليك البيضان في وضعه تحت نفوذهم ، وحرصوا على ان لا يفلت من أيديهم ، وقدشوا على أضعف نقطة في قلبه وأخلاقه ، فلا يمضي عليهم كثير حتى يكتشفوها ، فيستميلون قلبه اليهم من تلك النقطة ، ويستفيدون منها لانفاذ كلمتهم وجر المنافع اليهم وإلى أصحابهم ومن كان من حزبهم وشيعتهم . فيتألف من خدمة القصر الملوكي حزب قوي يسمى كامريلا « Camarilla » وهي كلمة أسبانية معناها جماعة المنفذين في قصر الملك ، فيتدخلون في المسائل ويعارضون في السياسة ويستولون على الامور ، واذا رأوا السلطان مال لصدر أعظم أو وزير اتقضوا عليه وساموه بألسنتهم واقترروا عليه بأفكارهم ، ونسبوه للعجز والتقصير ، وسمعوا في تنزيل قدره وترذيله ، لاجل وضعه تحت سيطرتهم ، ولذا كان في الغالب للقهوة جي باشي

والاثوابجي باشي والابر يقدار والسجاده جي باشي والبستانجي باشي حتى البلطه جي باشي وهو الخطاب - نفوذ كلمة ومكانة أكثر من الصدر وبقية الوزراء ورجال الدولة ، ولا سيما في المسائل المالية وجر المنافع وتوظيف المنتسبين اليهم ، ولم تنزل رتبة آغا دار السادة معادلة لرتبة الصدر الاعظم والخديوي المعظم ، ولم بالفرنساوية لقب سون التيس « Son Altesse » كأمرء الافرنج وابتاء ملوكها المعظم ، ولم ينزل أكثرنا متذكرا نفوذ بهرام آغا وأمثاله

### شروع الدولة العلية بالاصلاح

لو استمرت أوروبا نائمة في ظلام القرون الوسطى لبقيت الدولة العلية سائرة في هذه الطريق العوجاء سير مملكة الصين ، أو سلطنة المغرب الأقصى التي انحطت إلى درجة البداوة ، بعد ان كانت لها في العمران قدم راسخة ، بسبب مهاجرة الاندلسيين اليها ومتاجرتهم في أفريقيا الغربية ، ولكن أوروبا استيقظت من غفلتها في القرون الجديدة ، وأوجدت هذه المدينة العجيبة التي بهرت العالم ، وغيرت وجه الأرض باكتشافاتها واختراعاتها وعلومها وفنونها وآدابها ، وتجاوزت دول أوستريا ( النمسا ) وروسيا والبنديقية إلى ممتلكات الدولة العلية ، فأحست بالضعف والانحطاط والتقهقر ، وبدأت في الاصلاحات الجديدة من عهد السلطان مصطفي خان الثالث ، فأحدثت الطوبخانة ، وأنشأت مملأ أسكب المدافع ، واقبل السلطان سليم الثالث مهمة عالية واقدام على القيام بالاصلاح ، ورتب إدارة الطوبخانية والبحرية ، وجلب المعلمين والمهندسين من أوروبا ، وأحدث النظام الجديد ، فأغتنته أيدي المنوت بسبب هيجان الانكشارية الذين فسدت أخلاقهم ، وأصبحوا بلاء بهر ما على الأمة والدولة ، بعد ان كان لهم في الفتوحات العثمانية شأن عظيم ، ومفاخر كثيرة مسطورة في تاريخ أوروبا العسكري .

ثم جلس السلطان محمود الثاني وازال عائلة الانكشارية ، وناظم العساكر الجديدة ، واجرى من الاصلاحات ما هو مفصل في تاريخ العثماني . واصاب الدولة العلية من الحوادث المهمة ما حملها على الاحتكاك بالدول الأوروبية والدخول في ميدان سياستها مثل حروبها مع روسيا ، واحتلال نابليون بوناپارت لمصر وسوريا ، وخروج محمد علي

باشا ، وتبه دللي علي باشا ، وحرب الموره ، واستقلال اليونان ، وحوادث جبل لبنان . وتداخلت أوربا في شؤون الدولة العلية بداعي الحماسة عن المسيحيين : فروسيا تحامي عن الامم السلافية وجميع المتدينين بالمذهب الارثوذكسي ، وفرنسا على الكاثوليك ، وانكثرا عن مبشري البروتستانت ، وجميعهم يحرضن المسيحيين من رعية الدولة على مقاومة الاستبداد ، ويطلبن الباب العالي بإجراء الاصلاحات ، ووضع القوانين والنظامات لمنع التمدي على النصارى ، ولتساواتهم في الحقوق مع المسلمين . والباب العالي يجد الاستفادة من المداوة القديمة التي خرستها الحروب الصليبية بين المسلمين والنصارى اهون عليه من سوق العساكر وتكبد المصاريف الحربية لتسكين الفتن واخذ الثوارث . وهكذا جرت المذايح وارتكبت الفظائع التي تقشع الجلود من سماع وصفها ، وعادت على الوطن بالويل والخراب كذابح الروم في حرب المورة ، ومذايح لبنان في حادثة الشام ، ومذايح البغار في حرب روسيا الاخيرة ، وهي التي قام لها غلادستون وقعد ، وارغى وازبد ، على منبر الخطابة في مجلس العموم الانكليزي ، وآخرها الفظائع الارمنية المعروفة ، وهي نقطة سوداء في صحيفه التاريخ .

صدارة مصطفى رشيد باشا

فالحوادث التي جرت قبل معاهدة باريس ساءت بعض رجال الدولة الى تعلم اللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية للوقوف على سياسة أوربا وتنظيم العساكر البرية والبحرية ، وكان لاكثر المتعلمين نسبة وتردد على مصر التي شرعت بالاصلاحات على عهد محمد علي باشا . ونبع من رجال الدولة مصطفى رشيد باشا السياسي الشهير ابن مصطفى افندي ممولي . وقف السلطان بايزيد ، وكان مولده في الاستانة ( ١٢١٤ هـ ) فقرأ القرآن ومبادئ العلوم الاسلامية وأجاد الخط وتعلم شيئاً من مبادئ اللغة الفرنسية ، ودخل في معية نسيه الصدر السابق اسبارطه لي علي باشا ، وذهب الى مصر مرارا وخالط رجالها وتقلب في مناصب الدولة العلية وفي سفارة باريس ولوندره ، فاكل تحصيل اللغة الفرنسية واطلع على دقائق السياسة وخوافيها ، وكانت المسألة الشرقية شاغلة وزارات أوربا بسبب اجتهاد روسيا في جمع كلمة الامم السلافية وطنمها في الاستيلاء على القسطنطينية . وروسيا اكبر الدول الاوربية واكثرها

نفوسا وأشدّها خطرا على الموازنة السياسية . فكانت الدول الأوروبية وفي مقدمتها  
انكلترا التي هي أحرص الدول على مقاومة السياسة الروسية ، تشوق الدولة العلية  
الى القيام بالأصلاحات الجديدة لتستعيد قوتها السابقة فتحمي نفسها وتكون لبقية  
الدول سندا منيعا امام هجوم روسيا

فلما جلس السلطان عبدالمجيد خان ( تموز ديوليوي سنة ١٨٣٩ ) كان مصطفى  
رشيدباشا سفيرا في لوندريه فتعين ناظرا للخارجية وحضر للاستانة وكان له رأي ودخل  
كبير في التنظيمات ، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من السنة المذكورة قرأ بحضور رجال  
الدولة وأعيانها والسفراء الاجنبية الخط لشريف السلطاني المعروف بالتنظيمات وكانت  
قراءته في كلخانة ( أي دار الورد ) وهي من دوائر السراي القديمة ( طوب قيو )  
التي بجانب جامع ايا صوفيا . ولذا اشتهر بخط شريف كلخانة واشتغل على تأمين  
الرعية على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وعلى قاعدة مطردة في استيفاء الاموال  
الاميرية ، وعلى أخذ العسكر بالقرعة وتعيين مدة الخدمة ، والغاء الامتيازات ، وطرح  
التكاليف بنسبة ما لكل واحد من الثروة ، ومساواة الرعية أمام القانون ، والغاء  
المصادرة والانغارية وهي الاجبار على العمل بلا أجره وتعرف بالسخرة ، ونحو ذلك  
بما هو مدرج في هذا الفرمان المعروف بالتنظيمات جمع كلمة تنظيم العربية

فالدولة العلية انما أصدرت هذه التنظيمات لإرضاء لأوربا ولا سيما انكلترا .  
والامة الاسلامية لم تفهم معنى هذه التنظيمات ولا معنى تأمين الناس على الارواح  
والاموال والأعراض ، كأن الشريعة التي كانت دستور العمل تبيح التجاوز  
والتعدي على الارواح والاموال والأعراض ، وحاشاها من ذلك . فالبلاء لم يكن  
سببه فقدان القانون والشريعة حتى يزول باصدار هذه التنظيمات وانما سببه الاستبداد  
المتسلط على كل قانون وشريعة . فالحرية التي منحها التنظيمات لم تكن شيئا  
مذكورا بجانب الحرية التي منحها القرآن لوزال عنه الاستبداد والجهل المستوليان  
على المسلمين ، فيجتهدون في فهمه وتأويله على مقتضى نوايس المدنية الحاضرة كما  
فعل احرار العلماء كالشيخ محمد عبده وغيره

فشرعت الدولة العلية في اجراء الاحكام المشار اليها في التنظيمات وسنت

قانونا لاخذ المسكر جرى تطبيقه في بعض الأيالات وأحدث في بعضها ثورة وعصيانا كهصيان الارناؤوط (١٨٤٤) الذي سكنه رشيد باشا نفسه ثم باشرت في تنظيم المعارف وفتح المكاتب في الاستانة ونظمت بحاكم التجارة المختلطة (١٨٤٦) كما نظمت بعض دوائر الدولة واقلامها . فكان مصطفى رشيد باشا الذي تولى مستند المديارة العظمى ست مرات وتوفي سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٥٨م - مصدر هذه الاصلاحات ، بسبب وقوفه على الافكار الجديدة ومعرفة اللغة الفرنسية والادبيات العثمانية . فسعى في افراغ الكتابة التركية في قالب سهل سلس ، بعد ان كادت تكون غير مفهومة عند العموم ، لكثرة ما فيها من التعقيد والتشابه القامضة والالفاظ والتراكيب اللغوية من فارسية وعربية . ونشأ في عهده وتحت ظله الشاعر الشهير ابراهيم شناسي افندي موجد الادب الجديد العثماني . حصل العلوم العربية واللغة الفرنسية ، وذهب لباريس فاطلع فيها على آداب الطريقة المدرسية ونسج على منوال راسين ولا فوتين وأدخل في الادب التركي العقل المشروط في الطريقة المدرسية كما فصلنا ذلك في كتابنا « تاريخ علم الأدب »

وكان الادب التركي كله خيالات ومبالغات أعجمية قلما يجد الانسان فيه حكمة وتعللا ، وديوان شناسي صغير الحجم ، لكنه نموذج للادب الجديد ، وأكثرقصائده في مدح مصطفى رشيد باشا ، وأنشأ شناسي جريدة تركية سماها ( تصوير افكار ) وحرر فيها المقالات السياسية والتاريخية والادبية بقلم سهل سلس مفهوم . وطبع ديوانه مع منتخبات ( تصوير افكار ) ثانية في مطبعة ابوالضيا توفيق بك ، وكانت وفاة شناسي في سنة ١٢٨٨هـ قبل بلوغه سن الشيخوخة والوظائف العالية

علي باشا وفؤاد باشا

ظهرت فئة قليلة من المتعلمين على النسق الجديد واقتفوا اثر مصطفى رشيد باشا ، ونبع منهم اثنان شهيران خلد التاريخ ذكرهما وهما السيد امين علي باشا وفؤاد باشا ، ومولدهما في سنة ١٢٣٠هـ الاول ابن مصر جارشلي علي رضا افندي اي المنسوب

لسوق مصر وهو سوق العطارين . والثاني ابن الشاعر الشير كجه جي زاده عزت ملا الذي نفي للاناطول في زمن السلطان محمود خان ومات في منفاه . فعمل امين مبادي العلم واجادة الخط وقرأ الفرنسية على معلم مخصوص ودخل قلم الديوان الهايوني في الخامسة عشرة من عمره

ومن عادة رؤساء القلم تسميه كل داخل باسم يتميز به عن سبيه، ولم يصطلحوا كالعرب والافرنج بتسمية الولد باسم ابيه أو أسرته . وكان امين قصير القامة فسي (عالي) تسميه بالضد تناو لا بملوهمته . فذهب الى أوروبا في كتابة السفارات واتقن الفرنسية . وانتسب لرشيد باشا وامتاز في فنون السياسة والمعارف العصرية . وعين عضوا في ( انجمن دانش ) اي مجلس المعارف المؤسس على نسق ا كادميات اوربا . وكان عالي باشا يحسن الفرنسية والتركية كتابة وانشاء ، وتقلب في وظائف كثيرة مهنة مثل السفارات والوزارات ومسند الصدارة العظمى . وأما فؤاد فدخل المكتب الطبي العسكري وخرج جراحا في العسكرية ، ثم دخل قلم الترجمة في الباب العالي وتقلب في الوظائف السياسية والخارجية ، وترأس مجلس التنظيمات ومجلس الاحكام المدنية وحضر الى سوريا أيام الحادثة وكان اذ ذلك ناظرا للخارجية ، ثم ذهب بجميه السلطان عبد العزيز الى معرض باريس سنة ١٨٦٧ ومرض فيها وتوفي في نيس من فرنسا وله من العمر ٥٥ سنة فقط ، وكان في اللغة التركية أدبيا شاعرا وضع مع جودت باشا القواعد العثمانية التي لم يؤلف للآن احسن منها ، وخلف الفريق كجه جي زاده عزت فؤاد باشا الكاتب الشير

فرشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا هم نوابغ السياسة العثمانية وواضعوا الاصلاحات الجديدة بدلالة السفراء الاجانب ارضاء لدول اوربا ولا سيما انكلتره ، ومماشاة لها لحرضها على تهوية الممالك العثمانية لتتقي بها شر روسيا فأمر هؤلاء النوابغ بترجمة القوانين والنظامات والتعليمات والاورام المدرجة في الدستور ترجمة حرفية، ولم يجدوا لهم وقتا لدرس احتياجات البلاد الداخلية والمدنية الاسلامية حتى درسها ، ولا لتشر الافكار الجديدة بين المسلمين المفاخرين بسابق مجدهم ومثانة شرعهم، ولذا لاموا هؤلاء المصلحين ولم يرضوا عن اعمالهم زاعمين انها توول إلى قلب البلاد وجعلها

افرنجية محضة . ولذا كانت الاكثريه لحزب تركيا القديمه ، ولم يكن من حزب تركيا الفتاة الاقلية قليلة ، درسوا العلوم الجديدة درسا سطحيا و بعضهم زار اور با مره او مرتين . ومع هذا وفق حزب تركيا الفتاة لاستمالة اور با اليه ، وافلح في الحصول على اتفاق انكلتريه وفرنسا وساردينيا اي ايطاليا ، فحاربين روسيا واتصرن عليها في حرب القرم و عقدن معاهدة باريس ( ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ ) واعترفت اور با بقتضاها بتمام ملكية الدولة العثمانية واستقلالها ، ومنع ايه دولة من المداخلة في امورها الداخلية ، وصدر خط شريف ثان في ذلك التاريخ ايضا مؤيد نلظ كلفخانه ، ويشتمل على حرية الاهالي ومساواتهم في الحقوق والمعاملات . ثم جلس السلطان عبد العزيز خان سنة ١٨٦١ واصدر فرمان الاصلاحات ولكن هذه الاصلاحات والخطوط الشريفة السلطانية لم تنم تماما سوء الاستعمال والاستبداد الذي في ادارة الدولة ، وبقي الارتكاب والظلم والاستبداد على ما كان عليه سابقا ، لعدم اصلاحهم السراي السلطانية كما اصلحوا وجاق الانكشارية والصباهية وقلبوها الى النظام الجديد

#### حزب تركيا الفتاة

أول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابراهيم باشا مصري ثم صهره خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور ، فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة تبين ناظرا للمعارف في الاستانة ، ثم ناظرا المالية وأجرى فيها عدة اصلاحات ، وكان ميكر وب الاقتراض قد تفشى في هذه النظارة ، وأحدث بلاء القوائم القديمة ، حتى بلغت الديون ما بلغت فأنقلت كاهل الامة ، وكان الصدر الاعظم اذ ذلك يوسف كامل باشا صهر والي مصر محمد علي باشا ، و مترجم تليماك للتركية الترجمة الاولى المويصة ، وكان عالي باشا في نظارة الخارجية ، وفؤاد باشا في رئاسة مجلس الاحكام العديلة ، ثم في نظارة البحرية ، وأدخل فيها حسين عوني باشا العدو الالامر باشا المجري . وكان فؤاد باشا تبين حكما لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما رقابة وعداوة ، فلما تولى

فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ماله من الخدم والاصلاحات المفيدة ، فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لأخته الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد ، وكشف الغطاء عن عورات الدولة ، وبين اسباب الضعف والأخطا وسوء الاستعمال بحرية لم يبتدعها رجال المايين ولا سمعوا بمثلا قبل ذلك ، ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت به فحة من الشبان فأكرم مشواهم وأنفق على تعليمهم ، ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني أحدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لايتهم الواحد منا بأمر معاشه ، فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزله فوجد ما يحتاج اليه من الطعام والملام ، بخلاف أحرار هذا الزمان الذين قاسوا أشد العذاب في أمر معاشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة ، فنظموا الشعر وألغوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد ، ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة وأديبها وموجد الادب الجديد العثماني ، ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ هـ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت له مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر به مقالاته السياسية في الجرائد بأسلوب مستحدث طريف هو من السهل المتع ، واشعاره على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتديير الملكة واصلاح شؤون الحكومة ، وله مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع ، وقصة وطن أو سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب ، وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقر سنة ١٣٠٥ هـ . ومنهم ضيا باشا الأديب الشاعر ، وسعد الله باشا سفير فينا الأسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها ( البحيرة ) ، وله اشعار عصرية رائقة . ومنهم يو الضيا توفيق بك الذي أصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي ، وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بدعيمة عجيبة لم تبلغها إلى الآن مطابع الشرق ولا مطابع أوروبا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد ، وكثير غيرهم من الكتاب والأدباء انصار حزب تركيا الفتاة

الذي أسسه مصطفى فاضل باشا ، ثم صهره خليل شريف باشا الذي جاء من مصر إلى الأستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفته الفرنسية ، وصار سفيرا لباريس وغيرها وناظرا للخارجية ، وتزوج بأكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي خاتم التي ائقت أروالها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة ، وساعدته بالمال والجاه هي وشقيقها الامير محمد علي باشا

لائحه فاضل باشا السلطان عبد العزيز

نلخص مصطفى فاضل باشا سياسة تركيا الفتاة في اللائحه المذكورة التي قدمها إلى السلطان عبد العزيز خان وقال فيها :

« تصور أوروبا ان المسيحيين وحدهم في تركيا خاضعون للمعاملات الاستبدادية ، ولا احتمال أنواع الاذى والتحقير المتولد من الظلم ، وليس الامر كذلك ، فان المسلمين ربما كان الظلم والعسف أشد وطأة عليهم ، وهم أكثر انحناء تحت نير العبودية من المسيحيين ، لان المسلمين ليس وراءهم دولة أجنبية تستحيز لهم وتحمي عنهم ، فرعايا جلاتكم من جميع المذاهب مقسومون إلى صنفين : الظالمين ظلما لا حد له ، والمظلومين بلا شفقة ولا مرحمة ، والاولون يجدون في الحكومة المطلقة غير المقيدة التي تستعملها جلاتكم والتي اغتصبوها - إغراء وتشويقا إلى جميع الرذائل . وأما الآخرون فتفسد اخلاقهم أيضا بعلاقاتهم الضارة مع سادتهم ، وبما انهم مجبرون على الخضوع دائما للشهوات الرذيلة ، ولا يستطيعون إيصال شكواياتهم الصحيحة إلى أعتاب سادتكم الملوكية ، لان ظلماً بهم يرون هذه الاستغناء مع الاحترام بحكومة جلاتكم من أكبر المفاسد ، فاعتادوا على دناءة الاخلاق التي لا يمكن تصورها ، »  
وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا  
فهذه الاصول الاستبدادية التي كان اعداء الاصلاح من حزب تركيا القديمة يريدون المحافظة عليها ، ويهدون التمسك بها من الغيرة الدينية والحمية الوطنية ، والاسلام والوطنية بريثان منها للأسباب المشروحة فيما مر . فحزب تركيا الفتاة يمكننا ان نعتبر وجوده منذ تولى مصطفى فاضل باشا نظارة المعارف ( ۱۸۶۲ م ) ، وهاجر إلى باريس ( ۱۸۶۵ - ۱۸۶۷ م ) وانصار هذا الحزب هم جميع المطلعين على

الكتب الفرنسية وأدب الطريقة المدرسية أو على ما ترجم منها بالتركية ، والذي طلق عليه هذا الاسم هم الفرنسيون الذين قالوا ( جون تركي ) كايقولون ( جون فرانس - جون ألمانيا - جون ايتالي ) فترجم تركيا الفتاة وقيل بالتركية ( كنج تركر ) ، ولذا قال هانوتو : إن تركيا الفتاة من اللغة الفرنسية . وقد جوزي مصطفى فاضل باشا على جراته بمصادرة أمواله ، ثم أعيدت اليه بواسطة بعض الأجانب ، ثم حرم من ميراث الخديوية هو وحليم باشا بسبب صدور فرمان السلطاني بانتقالها إلى أكبر أولاد المالك وهو إذ ذاك اسماعيل باشا ، وصار مستند الخديوية ينتقل من الوالد إلى ولده ، بعد ان كان ينتقل إلى الأكبر فالأكثر من الأسرة ، كما هي القاعدة في جميع الممالك الإسلامية ، لما عدت من ان الإسلام ليس فيه ملك موروث ، وفي سنة ١٢٧٨ هـ و ١٨٧١ م أصيبت المملكة العثمانية بوفاة اشهر قوادها عمر باشا ، وأشهر سواسها الصدر الأعظم علي باشا صاحب الأعمال الكثيرة في تنظيم ادارة الحكومة ، ووضع ميزانية للعالية ، وتأسيس نظارة الداخلية والاقاقف ، ومجالس الدعاوي والتميز وتنظيم أصول المحاكمات واستعمال الاصول الاعشارية ، وغير ذلك من الاصلاحات الداخلية والسياسية الخارجية ، وترجمت القوانين والنظامات عن الفرنسية بلا نظر ولا معرفة بصالح البلاد واحتياجاتها فترجموا مثلا قانون التجارة الفرنسي القديم وأبقوا فيه مسائل النكاح و ( الدوتة ) واشترك الزوجين بالأموال وعدمه ، كما هو مختص بالأوربيين ولا وجود له في الشرق ، لا عند المسلمين ولا عند المسيحيين . وبعد وفاة علي باشا تولى مسند الصدارة محمود نديم باشا ومال إلى روسيا حتى سمي « نديموف » وبذر أموال الخزينة وأصبح آله في يد الجنرال اغنايف سفير روسيا في الامتانة

#### صدارة نديم باشا الاولى

محمود نديم باشا كان أبوه واليا ، فترقى في داره على الاستعداد والارتكاب ، وتعين واليا كآيه ثم ناظرا للبحرية ، وكان شديد التعصب للإدارة القديمة المستبدة ، كثير البغض للاصلاحات الجديدة والحربية . تقرب الى السلطان عبد العزيز خان بالتملق ، واستولى عليه من أضعف نقطة فيه وهي العظمة ، فدرس له بأنه تحت وصاية

## (التاريخ ١٩١٩) الاختلال في صدارة نديم، صدارة مدحت باشا الأولى ١٩١٣

فؤاد باشا وعالي باشا، مع انه خليفة الله في الارض ، والقابض على رقاب خمسين مليوناً من الرعية الذين هم عبيد جلالته !!! ، وان بيت المال هو حق من حقوقه ان يتصرف فيه حسبما شاء وأراد !! ، وكانت الميزانية المالية وضعت في أيام عالي باشا وفؤاد باشا وحدد فيها مصارف الماين، فانتقلت أحوال السلطان عبد العزيز خان في صدارة محمود نديم ، واستبد بالامر ، وأبعد عن الوظائف الملكية والعسكرية الرجال الذين تخبرهم عالي باشا ودرّبهم وعلمهم حتى كانوا من خيرة الموظفين، فاستبدل بهم المرتكبون وكثر تحويل الوظائف والعزل والنصب والترقي في جميع الوظائف الملكية والعسكرية، حتى كان الضابط يرقى إلى المراتب العلى في أقرب وقت، ويصبح مشيراً، بعد ان كان من قبل أشهر ضابطاً صغيراً . وزاد الاسراف والتبذير بينا السرايات التي لا لزوم لها وإنشاء الاسطول الذي صار ارباباً بعدعين كما زاد الانهالك في المذات والشبوات ، وكانت أوروبا وصياغة الاستانة تهرض الاموال بالربا الفاحش والديون تتراكم على خزينة الدولة ، والمكلفون بها هم فقراء الرعية من أصحاب الاعشار والاغنام يؤدونها من كدّ اليمين وعرق الجبين .

ومن الغلطات السياسية في صدارة محمود نديم باشا اصدار الفرمان بفصل الكنيسة البلغارية عن الكنيسة الرومية ، وتعيين ا كسارخوس للبلغار مستقل عن بطريرك الروم في القسطنطينية ، وكان ذلك بمساعي الجنرال اغنايف حبيب محمود نديموف باشا للتوصل إلى احداث دولة للبلغار ، مع ان الباب العالي كان يعتبر جميع هؤلاء الامم الصغيرة كالبلغار والصرب والافلاخ والبغدان والجليل الاسود والمهرسك روما تابعين لبطريركية القسطنطينية لاشرائهم جميعا في الدين الارثوذكسي . ومن الغلطات المالية أيضا إعطاء المترى النمساوي اليهودي الشهير وهو البارون هرش امتياز سكة حديد الروم ايلي المعروفة بسكك الحديد الشرقية ، واضرار الخزينة والاهة من وراء ذلك ضررا كبيرا ، وفي اثناء ذلك ظهر مدحت باشا في مسند الصدارة ،

### صدارة مدحت باشا الأولى

ولد مدحت باشا في القسطنطينية سنة ١٨٢٢ م ، ووالده حاج علي افندي أصله من روسجق التي كانت مركز ولاية الطونة (بلغارستان) على ضفة نهر الطونة (الندانوب)

البنفي، ولما كان من صفار الموظفين لم يستطع تعليم ابنه غير مبادي العلوم وحسن الخط  
المعدود في ذلك الدور من أكبر العلوم وأهمها للدخول في الوظائف والترقي فيها،  
وأدخله على حدائه سنة قلم الصدارة فتخرج في اقلام الباب العالي، وتعلم بالمشاهدة  
والتجربة والاختبار، وتعين مأمورا في الولايات ومكث سنتين في دمشق الشام، وترقى الى  
أن صار باشكاتب في مجلس (والا) وهوشوري الدولة، وذهب مرة ثانية الى دمشق وحلب  
للتحقيق عن القبر صلي محمد باشا، والفت باستهداده واجتهاده نظر رشيد باشا وعالي باشا  
وفؤاد باشا ورفعت باشا ناظر الخارجية اليه، فأجلسه معه رفعت باشا لسمع المحاوراة التي دارت  
بينه وبين البرنس منجيكوف مندوب دولة روسيا وذلك قبل حرب القرم، فاطلع مدحت  
باشا حينئذ على السياسة الخارجية، وبعد وفاة رشيد باشا سنة ١٨٥٨ م تولى الصدارة عالي  
باشا فأذن لمدحت بالذهاب الى اوربا لمدة ستة اشهر، فذهب الى باريس ولوندره  
وبروكسل وفيينا، وشاهد انتظام الادارة ومحاسن المدنية والترقيات العصرية، وما زال  
يرتقي في الوظائف حتى صار والي ولاية الطونة (بلغارستان الحالية) فأجرى فيها  
اصلاحات كثيرة، وفتح مجلس الايالة وهو المجلس العمومي الذي فتحه راشد باشا  
في سوريا، ثم عين واليا لولاية بغداد ومشيرا لعمادتها فسكرها فسكر عصيان نجد، واهداه  
السلطان عبد العزيز خان سيفاً مكافأة له على خدمته، واذ كان الصدر الاعظم محمود  
نديم باشا كثير العزل والنصب والتبديل نقل مدحت باشا من ولاية بغداد الى ولاية  
ادرنه، فمر بكرسي السلطنة وطلب مقابلة الحضرة السلطانية واراها طرق الخلل وسوء  
الادارة وعاقبة الامر، فعزل محمود نديم من الصدارة وتولاها مدحت باشا  
لكنه لم يبق فيها الا ثلاثة اشهر، وكان سبب عزله على ماروي: ان احدى سراري  
القصر بعثت اليه مع الطواشي طالبة تعيين احد خدامها قائما في أحد الاقضية  
فأجابه مدحت «سلم على الخاتم وقل لها ان تلتبس هي بنفسها من أفندينا ذلك»  
واشتد غضبه من مداخله السراري وتتابع رجائهم

صدارة نديم باشا الثانية

كثير تبديل الصدور بعد عزل مدحت حتى بلغوا نحو العشرة في خلال سنة  
أو خمسة عشر شهرا، ثم عاد الى الصدارة محمود نديم باشا وكان العود غير احمد،

فزاد الارتكاب ، وبيت الرتب والنياشين ، كما بيعت الوظائف بالمراداة ، بحيث اصبح يحتجها الذي يزيد في الثمن ، واختلت الموازنة المالية ، حتى قصت باعلان الافلاس في ٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) سنة ١٨٧٥ ، وطمع العدو في البلاد ، فأوجب ذلك هيجان تركيا الفتاة وعقلاء الامة ، وكان التجسس غير معروف في ذلك الوقت ، وكان للجرائد حرية في الكتابة والانتقاد ، فشرعت جريدة « وقت » التركية في نشر الحكايات والاساطير عن ملوك الصين ، واستنتاج الامثال والمواعظ من اقراض ملكهم ، والتعريف بذلك لوزارة محمود نديم باشا ، واخذ فريق من الناس يطوفون على المجالس والدواوين والاندية العامة ، ويقصون أنواع المظالم والارتكاب وسوء الادارة ، فهاجت الافكار العمومية ولا سيما الصوفتاوات وهم طلاب العلوم الدينية البالغ عددهم في جوامع الاسنانة نحو خمسة عشر الى عشرين الف طالب .

هياج الصوفتاوات وصدارة رشدي باشا

اجتمع من هؤلاء الطلاب زهاء خمسة اوسنة آلاف طالب ، وهجموا على الباب العالي في ٢٢ ميس ( مايو ) سنة ١٨٧٦ ، وذهب آلاف منهم إلى سراي طوليه باغجه مقر السلطان عبد العزيز فشكوا اليه طالبين عزل محمود نديم وتولية محمد رشدي باشا ، فأجيبوا إلى ذلك ، وصدرت الارادة السنية بتشكيل الوزارة وتولية محمد رشدي باشا الصدارة ، وحسين عوني السر عسكرية ، وقبصر لي أحمد باشا نظارة البحرية ، وراشد باشا الذي كان واليا على سوريا نظارة الخارجية ، وخير الله افندي مشيخة الاسلام

نزع السلطان عبد العزيز

كان حزب مدحت باشا من الاحرار مؤلفا من نامق كمال بك وضيا بك ورؤف بك واسماعيل بك ، وهؤلاء لم يرتقوا إلى رتبة الباشاوية ، وأما الذين ارتقوا منهم إلى هذه الرتبة بعد ذلك فهم حسن فهمي باشا وشاكر باشا وسعد الله باشا ورائف باشا ورفعت باشا وكانوا من الوزراء ، فلما تولى حزب تركيا الفتاة زمام الامر ،

واستولى على المالية ، والقوة البرية والبحرية والشرعية ، خلعوا السلطان عبد العزيز في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ و ٣٥ مايس ( مايو ) سنة ١٨٧٦ بفتوى من شيخ الاسلام ، واجلسوا ابن أخيه السلطان مراد خان ، ففرح به الناس واستبشروا وكان السير هنري اليوت سفير انكلترة أشد السفراء سرورا ، والجنرال اغنايف سفير روسيا أكثرهم غما ، وهو حبيب محمود نديم باشا والمشير عليه بتلك السياسة الموجاء ، وقتل السلطان عبد العزيز من سراي طولنه باغجه إلى سراي طوب قبو القابلة لها على ساحل البحر . ثم نقل بناء على طلبه إلى سراي جراغان المجاورة لطولنه باغجه على ساحل المضيق ( البوغاز ) وبعد خمسة أيام وقع الاغتيال واختلف فيه هل كان بطريق الانتحار أو القتل عمدا ، فان الذين كشفوا على الجثة وجدوها في الطبقة السفلى من السراي على سجادة بقرب الباب ، ففي انزالها من الطبقة العليا المعدة للسكنى الى الطبقة السفلى شبهة ، وعلى فرض ثبوت الجناية فمن عساه يكون المتهم بها ! هل حريم السراي وطواشيتها الذين تكثر بينهم الدسائس ويصعب التحقيق ؟ أو مدحت باشا وحزبه الذين لا مأرب لهم بذلك ؟ وقد توصلوا الى مأربهم بدون إراقة دم ، واستحقوا إجلال العالم لهم من عثمانين وأوربيين ، وهم أعقل وأدهى من ان يلوثوا عملهم العظيم بدم جناية ودسيسة مثل هذه

حادثة الجركس حسن بك وخلع السلطان مراد

ثم حدثت مسألة الجركس حسن بك ياور السلطان عبد العزيز ، فانه دخل دار مدحت باشا والوزراء مجتمعون فيها ، وقتل السر عسكر وراشد باشا ناظر الخارجية ووالي سوريا قبلا وأحمد آغا انطادم وجرح ناظر البحرية وبعض الياورية الحاضرين ، فأثرت هذه الحوادث في السلطان مراد وادت الى اختلال شعوره فخلع بعد ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من جلوسه

جلس السلطان عبد الحميد

جلس على سرير الملك جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بعد ان اشترط مدحت باشا وحزبه ثلاثة شروط : (١) إعلان القانون الاساسي (٢) استشارة الوزراء وجعلهم مسؤولين وحدهم في أمور الدولة (٣) تعيين ضيا بك وكمال بك

كاتبين خاصين للمابين وسعد الله بك باشكاتب لانهم من الاحرار الحر بصين على تنفيذ احكام القانون الاساسي ، والاولون ممن قاموا بتسويده وتميمه . فلم يعمل بهذه الشروط وتعين الداماد محمود جلال الدين باشا مشيرا للمابين ، وازكليز سعيد باشا رئيسا للياورية ، وكجوك سعيد باشا الصدر الاسبق في هذه الآونة وكان سعيد بك باشكاتب للمابين

مؤتمرا الاستانة وعلان القانون الاساسي وصدارة مدحت باشا الثانية

كانت بلاد البلقان في اختلال وهيجان بسبب قيام الهرسك والصرب والجلب الاسود والبلغار وتأفهم من الظلم والاستعباد، ومطالبتهم بالاستقلال، وتمسك كل منهم بقوميته وادب لغته، بعد ان كان الدين المسيحي الارثوذ كمي يجمعهم تحت سلطة بطريك القسطنطينية . وكانت أور با تطلب الدولة العلية باجراء الاصلاحات، والعناية بالمسيحيين التابعين لها ووقايتهم من الظلم والاعتساف ، فقرر عقده مؤتمر (قونفرانس) في الاستانة العلية لاتخاذ التدابير اللازمة لتسكين البلاد واصلاحها، وكان المؤتمر مؤلفا من احد عشر مندوبا، اثنين من انكلترة وهما سفيرها السير هنري اليوت واللورد سالسبوري، واثنين من فرنسا، واثنين من اوستريا ( النمسا ) ، وواحد من وسيا وهو الجنرال اغناطييف ، وواحد من ايطاليا، وواحد من المانيا، واثنين من قبل الدولة العلية وهما صفوت باشا وأدهم باشا، فمقدوا جلستهم الاولى في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٧٦ في دائرة الترسانة التي على خليج دار السعادة من جهة غلطة . ولم يكديتم افتتاح المؤتمر الا وقد سمعوا اصوات المدافع، فوقف صفوت باشا قائلا: ايها السادة ان اصوات المدافع التي تسمعونها هي دلالة على اعلان القانون الاساسي من قبل جلالة سلطانتنا الاعظم، وهذا القانون متكفل الحقوق والحرية لجميع رعايا المملكة العثمانية بلا استثناء؛ وقد حصل بذلك المقصود من عقد المؤتمر، فأصبح انعقاده وعمله من قبيل العبيات

فبهت القوم وانفضت الجلسة . وقد اعلن القانون الاساسي حقيقة في ذلك اليوم، واطلق لدى اعلانه مته مدفع ومدفع في جميع المدن والملك العثمانية ذات القلاع . وكان مدحت باشا هو روح هذا الانقلاب العظيم وهو القابض على زمام الامر في الحقيقة منذ

خلع السلطان عبد العزيز وان لم يكن ( صدر اعظم ) ، وكان الصدر الاعظم اذ ذاك عهد رشدي باشا شيخنا مسنا مقادراً له ولحزب تركيا الفتاة ، و بعد جلوس السلطان عبد الحميد خان الثاني استعفى محمد رشدي باشا الشينوخته ، وتولى الصدارة العظمى مدحت باشا وهي صدارته الثانية ،

لم يرض الجنرال اغنايف بهذه الاصلاحات بل اصر على بقاء انعقاد المؤتمر ، فداوم اعماله وقدم لأئمة الى الباب العالي في ١٥ كانون الثاني ( يناير ) سنة ١٨٧٧ وطلب الجواب عنها في خلال ثمانية ايام ، فكانت من قبيل ( الأوتوماتوم )

#### عقد المجلس العالي برفضه لأئمة مؤتمر الاستانة

عقد الصدر الاعظم مدحت باشا مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمثبرين ورجال الدولة والرؤساء الروحيين واعيان المسلمين والمسيحيين واليهود ، وعرض عليهم لأئمة المؤتمر ، وافهمهم مطالب الدول الأوربية ، وان ردها يؤدي إلى الحرب ، قدشاوروا بكامل الحرية وابدى كل منهم رأيه ، فقال رؤف بك ابن رفعت باشا ناظر الخارجية الاسبق إذ ذاك : الحرب كداء الحى يمكن ان تنجو منه ، ولكن لأئمة المؤتمر كداء السل الرئوي عاقبه القبر لا محالة . وقال صاوا باشا من خطبة طويلة : اننا نختار الموت على إهانة شرفنا ، وأتى وكيل بطريك الارمن الكاثوليك مقالة طويلة في رد اقتراحات المؤتمر ، فرفض المجلس قبولها بالاتفاق وظهر من هذا الاجتماع ائتلاف المسلمين والمسيحيين واليهود ، واتفاقهم واتحادهم على محبة الوطن وترقيه والتصيرة على منافسه ، وكان الروم والارمن الكاثوليك أشدهم حماسة ، حتى ان الروم عزموا على تشكيل فرقة متطوعة لمحاربة الصرب مع العساكر العثمانية ، لان استقلال الامم البلقانية من الصرب والجبل الاسود والبلغار مضر بصالح الروم لانفصالهم عن الكنيسة الارثوذكسية ، التي هي تحت رياسة بطريك الروم في القسطنطينية ، ورفضهم استعمال اللغة والادبيات اليونانية ، فبناء على جميع ذلك أجاب الباب العالي في ٢٥ كانون الثاني ( يناير ) برفض مطالب الدول المذكورة في لأئمتهم ، فانفض مؤتمر الاستانة وغادرها المندوبون والسفراء دلالة على قطع العلاقات بين أوروبا والباب العالي

نغلب حزب التثفير وكتاب مدحت للسلطان

كان الحزب المخالف للقانون الاساسي يسمى في التخلص من هذا القانون ،  
فبعد تعيين مدحت باشا في الصدارة انشده مجلس الوكلاء برياسته في دار الدمام  
محمود جلال الدين باشا ، وتذاكروا في القانون الاساسي ، فارتأى أحمد جودت  
باشا ناظر العديلة ( الحفانية ) تأجيل هذا القانون لعدم الحاجة اليه (؟) بسبب جلوس  
السلطان الحالي !! ، وكان أحمد جودت باشا من التثفيرين الى الدمام محمود جلال  
الدين ، ومن كبار العلماء والمؤرخين ، ولكن ارتشاء مشهور في الاستانة والولايات ،  
واعلان القانون الاساسي يسد على المرتكبين أمثاله باب الارتكاب ، فيأصرار  
مدحت باشا وحزبه مثل ضيا بك وكال بك وغيرهم من الاحرار الذين مر ذكرهم  
وبجريدتي ( وقت ) و ( استقبال ) والمقالات الشائعة المحررة فيهما — صدر الخط  
الشريف السلطاني إلى مدحت باشا باعلان القانون الاساسي ، وحمله الباشكاتب  
سعيد بك الى الباب العالي ، وتلي في الميدان الواسع الذي امام الباب بحضور  
جواهر الناس ، وبعد تلاوته خطب مدحت باشا في الموضوع ، وتلا الدعاء فوزي  
افندي مقبي أورفه وأمن الناس ، وما زال مدحت باشا يلح في طلب اجتماع  
المبعوثان ، ويجهد في تأليفه من الاحرار ، والمالين يؤخر ذلك ويفرق جميع الاحرار ،  
حتى انه أراد تعيين ضيا بك مسود القانون الاساسي سفيرا في برلين لتلاي انتخاب  
مبعوثا عن أهل الاستانة . فضايق صدر مدحت باشا من التأخير والمحاولة وكتب  
إلى الذات الشاهانية مباشرة : « لم يكن عرضنا من اعلان القانون الاساسي  
الا نحو الاستبداد ، وتعيين ما لجلالتكم من الحقوق وما عليها من  
الواجبات ، وتعيين وظائف الوكلاء ومسئوليتهم ، وتأمين جميع الناس  
على حريتهم ، حتى ترتقي البلاد في مطارج الارتقاء — الى أن قال —  
واني لكثير الاحترام لشخص جلالتكم ، ولكن الشرع الشريف  
يوجب علي أن لا أطيع امورك ( أو امركم ) اذا لم تكن موافقة لمنافع الامة »

ونحو ذلك مما لم يسمع بمثله الا من مصطفى قاضل باشا كما تقدم . وبالْحَقِيقَةِ ان احكام الشريعة الاسلامية وفتاوى الفقهاء في هذا الصدد لا تترك ادنى شك ولا ريب ، لان السلاطاز بحكم الشرع ليس مطلق الحرية ، ولا مطلق التصرف في أموال الناس ومنافعهم ، وانما هو في جميع ذلك مقيد بالاحكام الشرعية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . فالحكومة المطلقة التي درجت عليها الدول والامارات الاسلامية وتوارثتها من عهد معاوية لا وجود لها على التحقيق في الدين الاسلامي .

عزل مدحت باشا وبقية وصدارة ادهم باشا

ف عزل مدحت باشا ونفي على الباخرة (عز الدين) الى ايطاليا، ووجهت الصدارة العظمى الى ادهم باشا والد حمود بك و خليل بك مديرى دارالعاديات (الموزه خانه) ، وعين جودت باشا للداخلية ، واحمد وقيق افندي لرياسة مجلس المبعوثان موقتا ، لان انتخاب الرئيس ميين في المادة السابعة والسبعين من القانون الاساسي .

بعد خروج السفراء و مندوبي الدول من الاستانة العلية بعث البرنس غورجقوف ناظر خارجية روسيا الى الدول بمنشور مؤرخ في ٣١ كانون الثاني (يناير) بطلب فيه مداخلتهم بالاشتراك لاجراء الاصلاح في الممالك العثمانية (!) ، والا اضطر القيصرو وحده الى اتخاذ التدابير اللازمة في هذه المسألة وأرسل الجنرال اغتاتيف الى اوربايقول: بما ان الباب العالي بدأ يخل بمعااهدة باريس ، فتمام استقلال تركيا المشروط في تلك المعاهدة اصبح واهيا لاغيا ، فترددت دول اوربا ولا سيما انكلترا في قبول هذا الكلام

انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان

رأت الدولة العلية اصرار اوربا على اصلاح الروم اليلى فسارعت الى انتخاب المبعوثين وتطبيق احكام القانون الاساسي الذي نالت به الامة العثمانية الحرية وحق الحكم ، فلم يققه الناس اذ ذاك معنى هذه الحرية ولا قدرها حق قدرها ، فظنوا ان المبعوثين كبقية الموظفين يشتغلون بمصالح الامة تحت سيطرة الوزراء والنظار ، ليستفيدوا من الرواتب التي يتقدمونها ، فلم يهتموا بأمر الانتخاب كما يجب . حدثني بعض احرار الاستانة قال كنا نحرض الناس على الانتخاب ونسوقهم اليه سوقا ، وهم يقولون: ألم يكفنا ما لدينا من المحاسن والدوائر المشحونة بالموظفين حتى نزيد عليها مجلسا جديدا

وتتكبد القيام برواتب موظفيه ؟ فان لم يصلح حالنا وتنظم ادارتنا بجميع مانراه امام  
أعيننا من النظارات والدوائر العظيمة المشتملة على الالوف من الموظفين آراه يصلح  
بمجلس المبعوثان ؟؟

هذا ما كان يقال في قاعدة السلطنة ومقر الخلافة ؛ فبالك في مراكز الولايات  
والالوية ، اذ كان المنتخبون لا يوصون مبعوثيهم الا بطلب الرتب والاوسمة والالاقاب  
والمناصب والمخصصات والرواتب لهم ولا قاربهم وذويهم ؛ ! ولئن لاذبهم وحام حول  
حامهم ، أو باعفتهم من التكاليف الاميرية والخدمة العسكرية وتخفيف الضرائب  
والمكوس عنهم ونحو ذلك ؛ مما يعود على الوطن بالخراب لا بالسران ، كأن خزينة  
الدولة كنز لا يفنى ، تمطر عليه الاموال من رحمة الله بغير عد ولا حساب

#### افتتاح مجلس المبعوثان وخطاب السلطان

افتتح المجلس العمومي المؤلف من الاعيان والمبعوثان في ٤ ربيع الاول سنة  
١٢٩٤ و١٩ مارت (مارس) سنة ١٨٧٧ في بهو الاستقبال الكبير في سراي طوليه  
بانعجه بمحطة بشكطاش ، وتلي النطق السلطاني امام الحضرة السلطانية وهو :

« أيها الاعيان والمبعوثان

« اني أبدي الامتان بافتتاح المجلس العمومي الذي اجتمع للمرة الاولى في  
دولتنا العلية ، وجميعكم تعلمون ان ترقى عظمة واقدار الدول والملل انما هو قائم بالعدل ،  
حتى ان ما انتشر في العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها في أوائل ظهورها كان من  
مراعاة العدل في سير الحكومة ، ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف الرعية .  
وقد عرف العالم أجمع تلك المساعدات التي قام بها أحد اجدادنا العظام المرحوم السلطان  
محمد خان الفاتح في مطلب حرية الدين والمذهب ، وجميع اسلافنا العظام ايضا قد  
سلكوا على هذا الاثر ، فلم يقع في هذا المطلب خلال في وقت من الاوقات ، ولا ينكر ان  
الحفاظة على السنة صنوف رعيتنا وملتيتهم ومذاهبتهم منذت مئة عام كانت النتيجة  
الطبيعية لهذه القضية العادلة . والحاصل بينا كانت ثروة الدولة والملة ( الامنة )  
وسعادتها صاعدتين في مدارج الترقى في تلك الاعصار والازمان بفضل حماية العدالة  
ووقاية القوانين — أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قاة الاتقياد للشرع الشريف

والقوانين الموضوعه ، وتبدلت تلك القوة بالضعف . . . . . الخ  
ثم ذكر ازالة السلطان محمود عاثة الانكشارية ، وسبقه لفتح باب إدخال  
مدينة أوربا الحاضرة الى الممالك العثمانية ، واقتناء السلطان عبد المجيد خان أثره ،  
واعلانه أساس التنظيمات الخيرية . . . الخ النطق السلطاني المعروف  
قابل الجميع هذا النطق بالخضوع والركوع (!!!) وخصص لاجتماع المبعوثين  
بهو كبير في سراي العدلية بالقرب من اياصوفيا تحت رئاسة أحمد وفيق افندي الذي  
صار بعد ذلك باشا ، وعين للرئاسة بإرادة سنية لالانتخاب! ولذا كان رقبيا على  
مدحت باشا ، وقد اتهمه حزب تركيا الفتاة بالاستبداد لأن رئاسة مجلس المبعوثان شبيهة  
بوظيفة رئيس الموسيقى المركبة من آلات كثيرة مختلفة ، لكل آلة توقيع خاص ،  
فعلى الرئيس أن يلاحظ موازنة الانغام واثلاف بعضها ببعض ، لتخرج جميعها بصورة مفيدة  
مطربة ، وليس له ان يأخذ آلة من الآلات الموسيقية ويضرب عليها ليوازن ما فيها

#### مذاكرات مجلس المبعوثان

كانت الجلسة الاولى مخصصة للمذاكرة في العريضة التي ينبغي تقديمها من  
مجلس المبعوثان جوابا عن النطق السلطاني ، فحررت مسودة الجواب واسقط  
الكاتب منه كلمة « السنة » في الجواب عن فقرة « المحافظة منذ ست مئة عام على  
السنة . . . » المذكورة في النطق السلطاني ، فقام أحد مبعوثي الروم من الاستانة  
وقال ما محصله : « لا يمكننا ان نقبل إسقاط كلمة تدل على أمن امتياز نلتاه ، لان  
لساننا — نحن مشر الروم — هو ثروتنا ، فمن سوء الفهم وقلة الادب نحو جلالة  
سلطاننا الاعظم ان نحو كلمة أثبتنا جلالته بنفسها وكررت منحن ذلك من جديد »  
فقال الرئيس : ليس بحثنا في ذلك لانا لا نعرف في هذا المجلس لسانا غير اللسان  
العثماني الرسمي . فقال جمهور العثمانيين : « بك أعلى ! بك أعلى ! » أي حسن  
كثيرا حسن كثيرا ، فقام مبعوث أرمني وايد كلام المبعوث الرومي ، فقال الرئيس  
ثانية : ليس بحثنا في ذلك ، ومع هذا فاني أسأل اعضاء المجلس عما اذا كانت  
آراؤهم موافقة لرأيي ؟ فقال جمهور المبعوثين : « أوت أفندم ! أوت أفندم ! » أي  
نعم ياسيدي ! نعم ياسيدي !  
( لها بقية )